القمر وأسماؤه في أطواره وأحواله

للدكتور عبد الرؤوف جبر

القمر هو ذلك الجرم السماوي التابع للارض، المعروف، قيل: هو مسمى بلون نوره، ذلك ان القُمرة هي البياض فيه كُدرة: تقول: شاةٌ قمراء وكبش أقمر، اذا كان لونهما كذلك.

قلت: بل ان أفعل فعلاء للون مشتق من الجامد «قمر»، ولما كان القمر لا يعرف إلا بنوره ذي اللون المعهود فقد اشتقوا منه، أما رأيتهم يفعلون ذلك في غيره فيقولون: أغبر وأعفر وأملح وأدهس من الغبار والعفر (التراب) والملح والدهس وهو الرمل اللين، وانما سمي القمر لاجتماعه وانقطاعه، وكل قاف فميم الى اجتماع وانقطاع.

ومن ذلك القم وهو جمع القمامة أو نحوها وعزلها والقمح، وحبته تكون مجتمعة منقطعة عن سواها، والقمص: التدفع على الماء ومنه القميص لانك تلبسه مجتمعا فيه منقطعا عن سواك. والقماص في الدارجة الفلسطينية هو القطعة من الطين كالكرة. والقمط، وهو لف الطفل بحزام يجمعه ويشده بعضه الى بعض. والقمح قطع واجتثاث، والقملة معروفة، والقمة من الجبل، لارتفاعها وتفردها بالبروز.

وقد عرف العرب أطوار القمر منذ أمد بعيد، وكانوا يعتمدون دورته، وما زالوا، في التعليم على حدود الزمان والطبائع والاحوال شأنهم في ذلك شأن

غيرهم من الامم العريقة. فقد كان له أثر جليل في حياتهم، حيث «أنسوا به لانهم يجلسون فيه للسمر ويهديهم السبيل في سرى الليل في السفر ويزيل عنهم وحشة الغاسق وينم عن المؤذى والطارق» (ابن منظور ـ نثار الازهار ص٥٧).
وقال حسان السعدي في أطواره:

ومهما يكن ريب المنون فانني
أرى قمر الليل المعذب كالفتى
يهل صغيرا ثم يعظم ضوؤه
وصورتهُ حتى اذا ما استوى ؟؟
تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه
ويمصح حتى يستسر فما يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه
وتكراره في اثره بعدما مضى

قال أبو الحسن: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى أن هذا الشعر من أقدم ما قيل في الجاهلية (ابو زيد ـ النوادر ـ ص١١١، ١١٢ وهلال ماصح اذا نقص).

وقد امتزجت بعض معارف العرب بالخرافة، ويتجلى ذلك فيما كانوا يؤمنون به من أن القمر يختن المواليد، ومن ذلك قول امرىء القيس:

إنى حلفتُ يمينا غير كاذبة
أنك أقلف الا ماجلا القمر؟؟
(ديوانه ص٢٨٠) قاله في قيصر الروم.

وعرف العرب قرانات القمر المختلفة وأقّتوا بها، الامر الذي أغناهم عن التقويم الشمسي، ولا سيما البادين منهم الى يومنا الحاضر وما ذلك الا لاطالة النظر في السماء والنجوم. وأذكر أن القحطانيين الذين يقيمون في الصبيخة الواقعة في حاشية الربع الخالي الشمالية الغربية يعلمون لتأبير النخل باقتران القمر مع الثريا ليلة السابع من الشهر. وجاء في الآثار الباقية (٢/ ٣٣٦) قول أبي الريحان البيروني في العرب انهم «كانوا أناسا أميين لم يمكنهم معرفتها (يعنى المنازل) الا بشيء يعاين، فعلموا عليها بالكواكب الثابتة التي اتفقت فيها، وجعلوا طلوعها في المشرق بالغداة بعد طلوع الفجر علما لحلول الشمس فيها... ثم قرضوا أشعارا ودونوا فيها التأثير الطبيعي المتناوب الموافق لطلوع كل واحدة منها ما وجدوه بالتجربة والامتحان ليسهل حفظها على الاميين. قال أحدهم (أسيد بن الحلاحل) (عن أنواء ابن قتيبة ص٨٧).

اذا ما قارن القمر الثريا
لثالثة فقد ذهب الشتاء

وقال آخر:

اذا ما البدر تم مع الثريا
أتاك البرد أوله الشتاء

فأنت ترى أن القرانين المذكورين علامتان على طبعين مختلفين، فاذا نزل القمر منزلة الثريا الليلة الثالثة من الشهر، فذلك يعنى انصرام الشتاء ودخول الناس في الدفء والربيع. واذا نزل في منزلتها الليلة الخامسة عشرة (حينما يكون بدرا) فان ذلك ابتداء البرد والشتاء.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض احوال القمر، كما يتضح في قوله تعالى «والقَمَرِ اذا أتَّسَقْ» (الانشقاق ١٨) أي اذا امتلأ وكان بدرا، واتسق

بادغام فاء الفعل التي هي الواو في تاء الافتعال اذ الاصل «او تسق» في صيغة الافتعال من «وسق» بمعنى حمل والوسق الحمل، حمل البعير يكون عدلين وفوقهما على سنامه عدل أحدهما. وقال فيه عز وجل «حتى عادَ كالعُرجُوْن القَديمِ» (يسن ٣٩) وذلك في آخر ليلة من الشهر حيث يدق ويتقوس كعرجون الذرة او النخيل.

كما اوضح القرآن الكريم شيئا من معارف العرب بعرضه لسؤالهم النبي ﷺ عن الاهلة، حيث قوله تعالى «يسَألونَكَ عن الأهلّةِ: قل هي مَواقِيتُ لِلنّاسِ والحَجِّ.....» (البقرة ١٨٩) وهي صورة القمر في اطواره حيث اعرض عن الاجابة على سؤالهم عن العلة الفلكية بأن اجاب بما فيه الفائدة، ذلك ان الشمس والقمر وغيرهما من الاجرام انما هي مسخّرة لاداء غرض، ومصداق ذلك قوله تعالى «وسخرَ الشمسَ والقمرَ كلٌ يجرِي الى اجلٍ مُسمىً» (لقمان ٢٩).

كما عرض القرآن الكريم لحكمة أخرى في خلق الشمس والقمر تتمثل في قوله تعالى «وهو الذي جَعَلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقَدرَهُ منَازِلَ لتعلَموُا عَدَدَ السِّنينَ والحِسَابَ» (يونس ٥)، حيث أشار الى منازله والى انها اداة تقدير الزمان ومعرفة الحسابات المختلفة. ونستدل من الآية على ان النور للقمر والضياء والضوء للشمس. غير ان العرب ربما استخدمت احدهما مكان الآخر للتشابه في الفعل الذي هو الكشف والانارة.

ويثنّى القمر عَلَمًا على الشمس والقمر. ومن ذلك في المثل «أبهى من القمرين» (فرائد اللآل ١/٩٧) أي أنور منهما، وذلك بتغليب القمر لانه مذكر. **وهما النيران.** قال عبدالله بن محمد بن ابي عيينة.

ولا تقـولُـنَّ اني لسـت من أحـد

(ولا) تمحق النـيِّرَيْن: الشمس والقمـر

(المبرد ـ الكامل ١/٢٥٢ (ولا)، لا يستقيم به الوزن، ويصح (بأو) مكانها، فهو من البسيط).

وهو الازهر، للونه، والشمس زهراء، قال امرؤ القيس في أسد:

ذو مقلـة مثـل السـراج نَزْهَـر

(ديوانه ص٣١٦) أي تضيء، والازهر صفة، وقد تقام مقام موصوفها.

قال مالك بن الريب:

رغـيف لـه فَلْكَـةٌ ما ترى

وآخـرُ كالـقـمـر الأزهـر

(المبرد ـ الكامل ـ ١/٣٠٢)

وهو الزمهرير، في لغة طيء، وأراه من الزهر بزيادة الميم وتضعيف الراء، قال الراجز:

ولـيـلـة ظـلامـهـا اعـتـكـر؟؟

والـزمـهـريـر مـا زهـر

(الزمخشري ـ الكشاف ٤/٦٧٠ عن ثعلب، والجوهرى ـ الصحاح ـ ٦/٢٢٠٣).

وقد فسر به وبغيره قوله تعالى « لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَرِيراً»، (الدهر ١٣).

وهـو **البـاحـور** (عن ابن منـظور في اللسـان (بحـر) عن ابي على في البصريات، وانظر شاهد الساهور فيما يأتي) ولست ارى الباحور الا فاعولا من بحر، وهذه المادة تنصرف لدلالة اصلية على معنى الاتساع والامتلاء. وأراه القمر عندما يكون بدرا، وفي الدارجة الفلسطينية يقولون: بحَّر فلان اذا حدق وفتح عينيه اوسع ما تكون، والقمر عندما يكون بدرا يشبه ذلك، ولا سيما في ظلام الليل،

وهو **الغاسق**. وبه فسر قوله تعالى «وَمِنْ شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ» (الفلق ٣).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: لعائشة واشار الى القمر: تعوذي بالله من هذا فإنه الغاسق اذا وقب (ابن قتيبة ـ الانواء ص١٣٥ واللسان (غسق) عن ثعلب، و(سهـر) عن ابن قتيبـة) والوقوب الاختفاء لخسوف او غروب. والغاسق فاعل من غسق بمعنى أظلم لان الحال تصير الى ظلام اذا اختفى.

ومن اسمائه في اطواره:

الشـهر، وهو الهلال في الافق الغربي، ومنه الاشهار في الامور: اعلانها وليس العكس ذلك انه اذان في الناس بابتداء دورة زمنية جديدة.

وبه سميت مدة ثلاثين يوما شهراً، وهي من ظهوره الى ظهوره التالي في نفس المكان من السماء وفي نفس الموضع من الزمان. قال ذو الرمة:

. . . . . يَرَى الشهرَ قبل الناس وهو نحيل

(اللسان: شهر، وليس في ديوانه)

أي يرى الهلال. وطريف أن اللفظ حي لدلالته في لهجة بني شهر من

قبائل جنوب الحجاز الى يومنا الحاضر. وقد عده الجواليقي في المعرب (ص٢٠٧) وليس بوجه، وان شابه نظيريه السرياني (سهرا) والعبرى (سوحر) واذ لا يعدو اللفظ أن يكون ساميًّا مشتركا، ويدل على ذلك ما تشير اليه القوانين الصوتية حيث تناظر السين فيهما الشين في العربية، والهاء في العربية الحاء في العبرية.

وهو **الساهور**. وقيل: بل هو غلافهُ الصنوبري الذي تراه اذا خَسَف، وأيهما كان فهو في مبنى فاعول من السهر ويطلق على نور القمر، ومنهُ قيل للحديث في الليل سهر، لان الناس تجلس لهُ في نور القمر. ولا مجال للقول ان (سهر، ساهور) معربان من السريانية. قال أمية بن الصلت:

لا نقص فيه غير أن خبيئُه قمرٌ وساهور يُسَلُّ ويُغمدُ

(ديوان أمية القصيدة ٢٥ البيت ٤٠) والساهور هاهنا دارة القمر. وقال آخر:

كأنها عرقُ سام عند ضاربِهِ
أو شقة خرجت من جوف ساهور

(انواء ابن قتيبة ص ١٣٦) وهو في امرأة بيضاء جميلة شبهها بعرق الذهب في الصخر، وبقطعة خرجت من سواء القمر ويروى هذا الشاهد بكل من باحور وصاهور، لغة في الساهور، **وناهور**، ويفسر الناهور بالسحاب والشقة بالبرق.

والهلال، وهو القمر أول ما يظهر في الشهر الجديد حتى يبهر نوره النجوم. وهو فِعال من هَلَّ بمعنى بدأ واستبان، ومنه استهلال المطر وانهلاله. ثم اطلق على القمر في ثلاث الليالي الاخيرة من الشهر لشبهه فيها به في اول الشهر.

والجمع أهلة. روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري، قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ لا يكون على حالة واحدة؟

(الزمخشري - الكشاف - ١/٣٣٤) فنزل قوله تعالى «يسألونك عن الاهلة . . . .» (البقرة ١٨٩).

ومن شواهدنا لهذه المفردة قول الكميت في الجمع:

والغيث بالمتألقات من الاهلة في النواحر

(ديوانه ١/٢٣٣) وقال مالك بن الريب:

كأن الرحلَ اسأرَ من قَراها
هلالَ عشيةٍ بعدَ السِّرارِ

(ديوانه ٧٧) وهو في ناقة، لم يبق الرحل من متنها الا كالهلال اول ما يبدو في المغرب. ومن ذلك قول الكندي:

شفا من هلال ما يكاد يبين

(ديوان امرىء القيس ٢٨٦ ، ٣٠٩) أي حافة هلال لا يكاد يظهر، وتقول من الهلال لابتداء الشهر: أهَلَّ الهلال، وأُهِل، واستَهل واستُهِل ولا يقال: هَلّ.

وهو الازميم. ويخص به آخر الشهر، عندما يدق ويستقوس. قال ذو الرمة:

قد اقطع الخَرقَ بالخرقاء لاهية
كأنما آلها في الآلِ إزميمُ

(شرح ديوانه ٢١٣) أي ربما قطعت الصحراء المديدة بالناقة التي يراها الرحل، فكأنما سواؤها اذا بدا في السراب هلال. والازميم إفعيل من «زَمّ» لدلالة على معنى الاتصال والاشتداد والامتداد، او القطع.

وهو ابن مزنة. والمزنة السحابة «البيضاء» والقمر الى البياض «وسمي به لانها تحجبه ثم تنصرف من سُده فيبدو، فكأنها أُم تحتضن وليدها ثم تطلقُها».

وقال عمرو بن قميئة:
كأن ابنَ مزنتها لائحا
فَسيطٌ لدى الافق من خنصر

(ديوانه ص ١٩٣) شبهه بقلامة ظفر الخنصر لصغرها وانحنائها ولونها.

والبدر. وهو القمر ليلة تمه، وهو القمر اذا اتسق، أي امتلأ. ويكون ذلك اذا قابل الشمس ليلة اربع او خمس عشرة. وسمي به لاحدى اثنتين هما:
١ - انه يبادر بالغروب طلوع الشمس، وبالطلوع غروبها.
٢ - امتلاؤه وتمامه: حيث يقال: عين بدرة، اذا كانت عظيمة.
ومنه يقال لعشرة الآلاف درهم بدرة، لانها من تمام العدد. قال الكميت.
أغر كالبدر يستسقى الغمام به
كأن ديباجتي خديه من ذهب

(ديوانه ١/١٤١ وانظر لمثله عنترة ص ٨٦: البدر ليلة تمه، والشمردل اليربوعي ص ٢٨٥).

والزبرقان: وهو البدر سمي بترتيب ليلته في الاعداد، ذلك ان الزبرقان عدد خمس عشرة والقمر في تلك الليلة يكون بدرا او ناقصا نقصا لا يستبان. وشأن الزبرقان في ذلك شأن هند وهنيدة وهندة في دلالتها على العدد (مائة) وتعد به للابل.

قال الشاعر في الزبرقان.

تضيء لنا المنابر حين يرقى
عليها مثل ضوء الزبرقان
(اللسان : زبرق)

وربما كانت الكلمة منحوتة من الزئبر وهو زغب المنسوجات الصوفية البراق ومن الزئبق، أو الزرقة وكلها الى انارة ولمعان، كالبدر.

وفيما يتعلق بما بين المفردتين هند وزبرقان، والدلالة على العدد، فلعل الامر يكون مقلوبا وهو الارجح عندي، أي ان الدلالة على العدد منفرعة عن الدلالة على البدر، ولما كان البدر مقرونا بالعدد «خمس عشرة» او اربع عشرة فقد تحولت الدلالة تدريجيا الى العدد، وخص «خمس عشرة» لكماله. اما (هند) فلعله اسم فتاة جميلة كان صداقها ابلا، فسيقت لها منها مائة، ثم كأنهم قالوا: عدد من الابل يعادل هندا او ما مهرت به، ثم جرى الانتقال الدلالي. وقد كانت العرب على ذلك الى عهد قريب، وبعضهم ما يزال، اما سمعت قائلهم حيث يقول:

اما ابن حوط فقد اوفى بعدته
كما وَفَى بِقِلاصِ النجم حاديها

وهـذه قصة تطول. وموجزها انهم نقلوا الصورة الى الاجرام السماوية وقـلاص النجم هي نجوم صغيرة بين الدبران والثريا. وحاديها هو الدبران. زعموا انه اراد ان يخطب الثريا فساق لها مهرها عددا من النجوم هي التي امامه، والتي تعرف بقلاص النجم تشبيها بقلاص الابل جريا على عادة العرب.

ومن المفردات التي ترتبط بالقمر:

المحاق، وتطلق على القمر في آخر ليليتين، او ثلاث ليالٍ من الشهر، ينمحق فلا يبدو، ويستسر في الاخيرة منها، ذلك انه يطلع من طلوع الشمس فيبهر ضوءها نوره فيحتجب.

والبراء: وهي آخر ليلة في الشهر لتبرؤ القمر فيها من الشمس وخروجه من الحجاب، وقيل آخر يوم فيه لانه كأنه يتبرأ منه **وابن البراء** : أول يوم في الشهر وهذا يؤكد ان البراء هي آخر ليلة فيه فكأنها ولدت اليوم الاول وقال شاعرهم:

يا عين بكـى عامـرا وعـبـسـا
يومـا اذا كان الـبـراء نحـسـا

(المخصص لابن سيده ٣٢/٩، ١٥) وليلة السرار: (انـظر قول ابن الريب في الهلال سابقا) وهي ليلة ثمان وعشرين ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما، وليلة تسعة وعشرين ان كان ثلاثين والسرار فعال من «سر» بمعنى اسر واستسر ومعنى استتر وكتم وأخفى. ومنه السر الذي تخفيه.

وسميت تلك الليلة به لان القمر فيها يستسر فما يرى (راجع قول حسان السعدي في البداية) وقد سمى العرب كل ثلاث ليال من الشهر باسم مشتق من عمل القمر او من العدد الذي تبلغه وبيان ذلك على النحو الآتي:ـ

ثلاث غرر: ذلك انها تقع في اول الشهر، والغرة من كل شيء أوله.

فثلاث نفل: لازدياد مكث القمر فيها، ولاتساع النور شيئا فكأنها تقدم للناس نفلا زيادة.

فثلاث تسع: لان نور القمر يبهر فيها نور النجوم ويغلبه. قال ذو الرمة في ذلك:

حتى بهرت فما تخفى على احد
الا على اكمه لا يعرف القمرا
(شرح ديوانه ٦٢٦)

فثلاث عُشَر: لان اولاها عاشرة الليالي، او لانك تركبها من العدد عشرة.

فثلاث بيض: لان القمر يعمر فيها السماء حتى الفجر الثاني (الصادق) فهي بيض بنوره.

فثلاث درع: جمع درعاء، من قولهم شاة درعاء، هي التي ابيض سائرها واسود رأسها، ذلك ان اوائل هذه الليالي - رؤوسها - تكون سودا، لتأخر القمر، وتستمر عقب ذلك نيرة الى مطلع الفجر.

فثلاث ظُلَم: لغلبة الظلام على النصف الأول وهو الذي يكون فيه السمر ويستمر فيه العمل.

فثلاث حنادس: او دحامس بالقلب المكاني وابدال النون ميما وهي من الحندس: الظلام الشديد.

فثلاث دآدىء: جمع دأداً وهو البقية من الشيء، لانها من بقايا الشهر ويقال في مفردها دَأداة، ودِئداء، ودُؤداء. قال الاعشى:

تداركه في مُنْصُل الآل بعدما
مضى ، غير دأداء وقد كاد يعطب
(الجوهرى ١/٤٨)

أي : غير بقية .

فثلاث محق : اذا كان الشهر ثلاثين ، والا فهي اثنتان ، وفيها ينمحق الهلال ويقابل الشمس داخلا في الحجاب . وتسمى الاخيرتان :

ابنتي جمير ، والجمير الظلام .

ومن المفردات التي ترتبط بالقمر وغلافه .

الدارة والهالة والندأة :

وهي سواء ، وتطلق على الدائرة الغبارية النيرة التي تطيف بالقمر . وقيل في الاخيرة انها الحمرة في الغيم لدى غروب الشمس وشروقها .

والدارة اصلا هي ما اطمأن من الارض واحاطت به الجبال وهي فعلة من دار يدور ، واصلها دورة .

والهالة من الاهالة ، باسقاط الهمزة شأنها في ذلك شأن المصغر من أفعل فعلاء حيث تقول «دريد» في ادرد . والاهالة هي الشحم المذاب ، وقد سميت الهالة به للونها . وقد ألف الكندي ، يعقوب بن اسحق رسالة في الهالات (ابن أبي اصيبعة ٢٩٠) .

والنُدأة فُعلة من ندأ بمعنى خرج ، لانها تند عن سواء القمر خارجة عنه .

والقسطلاني ، والقسطالة :

وبالنون مكان اللام ، وبالكاف مقام القاف فيها : وهي قوس قزح ،

وقيل: بل دارة القمر. وأيا كانت فالقسطلاني هو الغيار، والشبه بينه وبين كليهما قائم، قال مالك بن الريب:

ترى جدثا قد جَرَّت الـريح فوقـة
ترابـا كلون الـقـسـطلاني هابـيـا
(الجوهرى ٥/١٠٨١)

أي ترابا دقيقا.

والطُّفاوة:

دارة الشمس، ودارة القمر. والاصل فيها ان تكون لما على سطح ما في القدر من رغوة ودسم، فشبهتا به، كالهالة من الاهالة. وهي فعالة من طفا يطفو، اذا ارتفع فوق سطح سائل.

والمَحـو:

وهو **الندبة والنكتة** التي تراها في القمر، كالكلف. وهي الكلفة: قال التهامي:

فبـات يجلو لنـا من وجـهـهـا قمـرا
من الـبراقـع لولا كلفـة الـقـمـر

(عن قدري طوقان في العلوم عند العرب ص ٧٥).

والكلف اصلا لون بين الحمرة والسواد. وقد شبه وجهها بالقمر ثم استنكف لوجود الكلفة فيه. وقال ابو تمام في الكلف:

الجـو أكـلـف، والجـنـابُ، لفـقـده
محل وذاك الـشـق شـق مظلـم
(ديوانه ٢٤١)

أي مغبر ، كناية عن التشاؤم

والغمـــة :

وهي الا يرى الهـلال في الوقت الذي يتوقع فيه طلوعه، وذلك ليلة ثلاثين، وفي الافق الغربي، وقد يكون طالعا ولا يرى واذا غم هلال شعبان اكمـل ثلاثـين يوما. ومن ذلك في الحديث «فان غم عليكم فأكملوا العدة» (الموطأ ـ كتاب الصيام ١٨ /٣).

وفي رواية «فاقدروا له» أي قدروا للقمر السير في المنازل، واحسبوا له وتبصروا في ذلك وعليه قامت رؤية الاستبصار، التي ابتدعها الفاطميون، وهي مذهب الحُسّاب والفلكيين. أما رؤية الإبصار فهي ان يعاين القمر بالمجردة. اما كيفية الحساب له فنجملها فيما يلي:

تستغرق دورة القمر الظاهرة ثمانية وعشرين يوما واليوم أربع وعشرون ساعة، والقمر يزداد مكثه في الليالي الاربع عشرة الاولى ثم يبدأ يتناقص في مكثـه تدريجيا حتى يستسر، ونصيب الليل من الساعات في الاعتدالين اثنتا عشرة ساعة، ونسبة التزايد والتناقص في المكث ثابتة، وبتقسيم ساعات الليل على الاربع عشرة ليلة ينتج ستة أسباع ساعة هي مقدار تزايد المكث في كل ليلة من النصف الاول ومقـدار التنـاقص في المكث كل ليلة من النصب الثاني. ويطلع القمر ليلة الثامن والعشرين قبيل شروق الشمس، فان لم ير الصبح ذلك اليوم علم انه سيستسر ليلة التاسع والعشرين وان الشهر تسعة وعشرون يوما، وان رئى علم انه سيستسر ليلة ثلاثين وان الشهر ثلاثون يوما.

ومن الامـور التي تعـرض للقمـر الخسف نقـول: خَسَفَ القمـر، وانخسف. قال تعالى «وخَسَفَ القمرُ وجُمِع الشمس والقمر» (القيامة ٨، ٩).

ولا نقول خُسِف القمر. والخسوف هو ما يعرض للقمر (وربما جعله بعضهم للشمس ايضا) من انكدار او احتجاب كلي او جزئي بأن تتوسط الارض بينه وبين الشمس، ليلا، وذلك اذا مر بالارض الخط الواصل بين مركز الشمس ومركزه. ويزداد حجم الخسوف كلما ازداد انفراج الزاوية التي مركزها مركز الارض وطرفاها مركزا الشمس والقمر.

وقد اختلف في **الخسوف والكسوف** أهما مترادفان ام ان لكل منهما دلالة خاصة. وفي حديث موقوف صحيح ان النبي ﷺ قال «لا تقولوا كَسَفَت الشمس ولكن قولوا خَسَفَت» (ابن حجر ـ فتح الباري ٢/٤٤٣).

وفي حديث آخر: ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد وفي رواية «لا يَخْسِفان» (ابن حجر ـ فتح الباري ٢/٤٣٦ ومسند ابي حنيفة ص ٦٩) وفي هذا كل ما يشير الى جواز استخدام احدهما مكان الاخر. واللفظان مما تقارب لفظة ومعناه والكسف والخسف الى دلالة على معنى التغير والنقص والكاف اخت الخاء. وهما في بعض اللغات امر واحد فيعبر عنها في اليونانية ع ك ٨٤١٣ ومنها جاءت eclipses الانجليزية. وفي السريانية ܐܟܣܦ اقلفسز كاليونانية وربما اضافوا ܪܥܘ : دسهرا: القمر: اي خسوف القمر. أو ܒ ܣܗܪܐ : دشمشا: الشمس وقال ابن مقبل: وقد جمع الخسوف والكسوف للشمس:

بجمع رأته الجن فاختشعت له

وللشمس ادنى للخسوف وأكسف

(ديوانه ١٩٤)

وهذا يؤكد ان العرب كانت توقع الخسوف موقع الكسوف والعكس. **والوكس**: وهو لغة، النقص. قال الكندي:

فأقول : انتِ من النساءِ ولا
يقبلن الا خُطةَ الوَكْسِ
(ديوان امرؤ القيس ٢٤٧)

ثم صرف لدخول القمر في المنزلة غدوة، كأنه قصر عن ادراكها ليلا والتقصير نقص ومنه. وقيل: هي المنزلة التي يخسف فيها القمر اذا نزلها والخسوف ايضا نقص.

والتجلي: هو خروج القمر (والشمس) من حيزي الخسوف والكسوف وفي الحديث «فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس» (فتح الباري ٢/٤٣٦) وحد صلاة الخسوف والكسوف الى التجلي.

والمقارنة أو القِران:

وهما ان ينزل القمر في المنزلة من الثماني والعشرين نزولا حقيقيا أي ان يتوسط الرقعة السماوية التي تحف بها نجوم المنزلة. أو أن يوازيها شمالا أو جنوبا، بحيث لا يتقدمها ولا يتأخر عنها. وهي **المكالحة**، وهي **العِداد**. والعرب تقول: فلان ما يأتينا الا عداد الثريا، ولا يكون الا مرة واحدة في العام.

والعُدول: هو ان ينزل القمر في الفُرَج التي تكون بين المنازل، والعرب تتفاءل بذلك وتكره المكالحة **والقران** (انظر ابن قتيبة ص ٨٦).

والعُقْبَة: وهي بتثليث العين. وهي سواء والعِداد. قال أحَد بني عامر:

لا تَطْعَمُ المِسكَ والكافورَ لِمَّتُه
ولا الذريرةَ الا عِقْبَةَ القَمَرِ
(اللسان : عقب)

أي أنه لا يتطيب إلا مرة في العام.

والمنزلة: هي واحدة من ثمان وعشرين مجموعة نجمية، يمكث القمر في كل منها ليلة واحدة، والشمس ثلاثة عشر يوما وسبع ساعة وهي مَفْعِلة من نزل، بمعنى محل ومقام.

قال تعالى: « والقمر قدرناه منازل . . . . . » (يس ٣٩)

أي قدرنا سيره في المنازل لتتخذوا من ذلك علامات على الحدود الزمنية والطبائع.

* * *

وبعد، فهذه هي المفردات التي وردت في التراث العربي حتى نهاية القرن الهجري الثالث، مما له ارتباط بالقمر، سواء أكان اسمًا له أم صفة أم متعلقاً به، وقد أوردنا منها ما قام عليه دليل وشاهد من آي الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف وأدب العرب في الجاهلية والإسلام. ولا ندعي بذلك أننا قد أتينا بكل ما له ارتباط بالموضوع، ومن ذا الذي يسعه جهده لأن يحيط بتراث العربية فلا يغادر منه شيئا؟ وقد ذكرنا مصدر كل شاهدمع اقتباس بعده مباشرة، ذلك أننا نرى الأمر أوفى بالغرض وإن كان يزعج القارىء أحيانا.

ونهدف من وراء ذلك الى جمع المفردات والمعلومات التراثية اللغوية والأدبية التي تتعلق بالموضوع الواحد في دراسة جامعة موجزة، توضع بين أيدي الدارسين والباحثين المحدثين، الأمر الذي ييسّر عملية اتصالهم بالتراث. ونرجو أن نقدم خدمة متواضعة في مجال تعريب المصطلحات، وأن يقف الدارسُ على عظمة العربية وتراثها، ومدى الدقة في تسمية الأشياء عند العرب.

د. يحيى عبد الرؤوف جبر